مقاربات للتنمية السياسية
MUKARBAT FOR POLITICAL DEVELOPMENT

ملخص كتاب

محمد المبارك الجزائري
وجهوده في الفكر الإسلامي والدعوة

تلخيص فريق إثراء المعرفي

مركز مقاربات للتنمية السياسية

t.me/mukarbatt

@MUKARBATT

مقاربات للتنمية السياسية
MUKARBAT FOR POLITICAL DEVELOPMENT

محمد المبارك الجزائري

وجهوده في الفكر الإسلامي والدعوة

التعريف بالمفكر:

هو محمد بن عبد القادر بن محمد المبارك الحسني الدلسي المالكي الجزائري ويتصل نسب اسرته الى نسب الحسن بن علي رضي الله عنهما وهي اسرة ذات علم وأدب ودين وصلت الى الشام مع المهاجرين الجزائريين ابان الاحتلال الفرنسي للجزائر والتضييق على أهل العلم

ولد محمد المبارك في 1330للهجرة /1912م في دمشق فكناه أبوه بأبي هاشم وله من الأخوة ستة ذكور وثلاث أخوات وكان جده عالما أديبا زاهدا وكذلك عم أبيه محمد الطيب كان مقرئا وشيخا في الأدب والتصوف

كل هذا جعل دار أهله مرتادا للعلماء الوافدين من البلاد العربية والشام وكان دائم الحضور لتلك اللقاءات والندوات بالإضافة الى دوام التواجد في المسجد الأموي الكبير وقلعة دمشق لتحصيل العلم في العطل الصيفية مما صقل شخصية محمد المبارك وأنضجه مبكرا

درس المبارك في المدارس النظامية في دمشق ما بين 1920—1932م وأنهى الثانوية العامة بفرعها العلمي فيها وتفوق في الرياضيات الى جانب اللغة العربية كما تعلم اللغة الفرنسية بحكم سياسية الفرنسيين واطباق الاحتلال الفرنسي للشام

ثم درس الحقوق والآداب في جامعة دمشق وتخرج 1965م ودرس على شيخ علماء الشام في الاجازة الصيفية (محمد بدر الدين الحسني) وعلى يد والده عبد القادر المبارك الذي كان يعتبر من الأعلام في الشام عموماً

وقد تحدث عن شيخنا محمد بن المبارك الكثير من علماء الأمة مثل الشيخ العالم محمد كرد علي والشيخ علي الطنطاوي وما فتئ شيخنا بذكر فصل شيخه الحسني ووالده عبد القادر والأمير شكيب أرسلان من خلال مواقفه المناهضة للاستعمار والذي التقاه في باريس حيث كان المبارك في بعثة علمية وكان أرسلان منفياً هناك مناضلاً عن قضايا الأمة لتحريرها

وبعد انهاء دراسته في باريس عاد الى الشام وعمل في التعليم الثانوي في مدينة حلب كأستاذ للأدب العربي وفيها تزوج زوجته التي تنحدر من آل البيانوني ثم انتقل الى دمشق ودرّس في ثانوياتها الأدب والأخلاق والمنطق والفلسفة حتى عام 1945م حيث ظهر الفكر القومي اليساري فواجه معارضة كبيرة من الحداثيين والقوميين ولاسيما ساطع الحصري آنذاك (منظر الفكر القومي)

أما نشاطه في التعليم الجامعي فبدأ في 1947م حيث درّس في جامعة دمشق فقه اللغة لدة عشر سنوات وبعد تأسيس كلية الشريعة 1955/1954م تم تعيينه أستاذا فيها فدرّس فقه اللغة -ونظام الإسلام -والعقيدة-وعلم الاجتماع

وتولى تكوين أقسام رئاسة العقائد ومقارنة الأديان ليعين عميدا للكلية خلفا للدكتور مصطفى السباعي من 1958 -1964م في عهد الوحدة بين سوريا ومصر حيث قدم تقريرا لوزارة التربية عن التعليم في الأزهر لجميع اقسامه ضمن نظرات جديدة

واصبح الزهر بمقتضاها متعدد الاختصاصات فعمل بالتخطيط في كلية الشريعة جامعة دمشق ثم لجامعة الأزهر

وفي الوقت ذاته بدأ نشاطه السياسي 1947م لمدو أحد عشر عاما وعمل بالدعوة كما نالت الدراسات الاجتماعية جزءاً بارزا من إنجازات المبارك وتشمل:

العقيدة في القرآن – نحو إنسانية سعيدة- الفكر الحديث في مواجهة الأفكار الغربية -الإسلام والفكر العلمي- الإسلام والتيارات الفكرية العالمية--بين الثقافتين الغربية والإسلامية – نظام الإسلام والحكم والدولة وغيرها الكثير من الدراسات

مؤلفاته

خاض شيخنا غمار البحث والتأليف منذ سن مبكرة وتتوزع آثاره في ثلاثة مجالات : 1- الأبحاث والدراسات اللغوية والأدبية وتشمل (فن القصص في كتاب البخلاء 1940م- من منهل لب الخالد دراسة تحليلية لنصوص القرآن 1960- عبقرية اللغة العربية 1949م- فقه اللغة وخصائص العربية 1980م القرآن العربي الخطاب مقال في مجلة حضارة الإسلام 1960

2- الدراسات الاجتماعية : الأمة العربية في معركة تحقيق الذات 1959م- المجتمع الاسلامي المعاصر 1971م- الأمة والعوامل المكونة لها 1975- نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع – جذور الأزمة في المجتمع الإسلامي 1977م- تركيب المجتمع السوري ورؤية إسلامية مبكرة لحل الاشكال العرقي والطائفي الحزبي في سوريا (دراسة انجزها 1958م) وتم طباعته 2003مفي الردن

3- الدراسات والبحوث الإسلامية : نحو إنسانية سعيدة 1961م -العقيدة في القرآن الكريم 1968م – الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية 1968م --أفكار ابن تيمية ومدى تدخلها في المجال الاقتصادي 1973م—الإسلام والفكر العلمي 1978م—بين الثقافتين الغربية والعربية 1980م—الاسام والتيارات الفكرية العالمية العالمية 1997م—مذاكرات في الثقافة الإسلامية – نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث 1978م –نظام الإسلام العقيدة والعبادة 1968م – نظام الاقتصاد والمبادئ العامة 1972م – نظام الإسلام الحكم والدولة 1974م—نظرة الإسلام العامة الى الوجود وأثرها في الحضارة

منهجه في البحث والكتابة:

يعتمد في تأليفه أسلوبا حديثا وموضوعيا في تناول الفكرة والتدليل لها ولا يهمل ملامسة العاطفة وتتميز مؤلفاته بالاعتدال والتوسط أما عن علاقاته بالعلماء داخل

الشام(علاقته وثيقة مع الدكتور مصطفى السباعي الذي لازمه بعلاقة مميزة – أيضاً معروف دواليبي – محمد بهجة البيطار—مصطفى أحمد الزرقا—والعلامة عبد الفتاح أبو غدة –عبد الرحمن حبنكة الميداني—عصام العطار—محمد أديب الصالح وصبحي الصالح – محمد راغب الطباخ)

أما خارج الشام: (محمد غزالي –يوسف القرضاوي—محمد قطب—محمود الصواف—وأبو الأعلى المودودي--- والداعية المفكر أبي الحسن الندوي

وفاته:

توفي في 3 كانون الثاني 1980م أثر أزمة قلبية في المدينة المنورة وصلّوا عليه في مسجد اقباء يوم الجمعة ووري الثرى في البقيع برفقة جموع صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثر رحيله المفاجئ في أوساط لمفكرين والدعاة والمفكرين والعلماء واعتبر رحيله خسارة لا تعوض للفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية وثم نظم قصائد في رثائه أشهرها قصيدة الشيخ محمد المبارك الجزائري السوري المسلم ضحية الاغتراب والمطارد ة في سبيل الحق والايمان

الفصل الثاني
جهود محمد المبارك في الفكر الإسلامي

استعمل محمد المبارك التصور الإسلامي في نفس المراد عند سيد قطب بقد عرض واستعراض حقائق الإسلام الثابتة والقطعية في العقيدة والشريعة والأخلاق الواردة في النص من غير زيادة أو نقصان

كما استعمل مصطلح الفكر الإسلامي وهو عند المعاني التي يحملها الوحي الكريم والمعاني القطعية بلا ريب

اما الإطار المرجعي لفكرة

فكان نصوص الإسلام وتراث المسلمين المعرفي والتراث الإنساني المشترك بين الحضارات والثقافات

الرؤية التجديدية في فكره:

يرى محمد المبارك أن نهضة الامة وتطورها لن يتحقق إلا بحركة شاملة تقوم على تطبيق مفهوم التجديد والإصلاح في الجماعات المجددة دون تجاوز القواعد العامة التي رسمتها الرسالة الإسلامية وأشار في أكثر من موضع في مؤلفاته الى ضرورة القيام بعمل إصلاحي وتجديدي من أجل هذا الدين

ويرى أن ذلك عمل حيوي ومستمر في الأمة ويرى أن التجديد يرافق التأصيل الذي ورد في القرآن والسنة النبوية وكانت مجالات التجديد عنده في (0 اللغة والأدب—مناهج التعليم—أسلمة المعرفة العلوم الاجتماعية—صياغة الرؤية الإسلامية أو بناؤها بما يناسب العصر

حيث ارتأى في مؤلفاته أن تطوير التعليم وأن تكون هناك دراسات إسلامية مشتركة بين جميع الأقسام بين جميع الكليات في الجامعات وتكون دراسات إسلامية مناسبة لتخصصات جامعية محددة ودعا الى صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية أو أسلمة المعرفة الاجتماعية

أما عن موقفه من الفكر الغربي والحضارة الغربية فقد نظر للغرب من الوجهة الجغرافية السياسية ومن الوجهة المفهومية بإطاره الحضاري الذي يتمثل في نموذج الغرب في الحياة والرموز الثقافية الفكرية ومظاهر وجود ه وانتشار سلعه وانماط حياته في العالم

وقد أتقن محمد المبارك اللغة الفرنسية فكانت المفتاح الى عمق الفكر الغربي وتخصص في أحد فروعه وهو علم الاجتماع واستثمرها في الفكر الإسلامي

كما رصد صدى وأثر الفكر الغربي والحضارة الغربية في البلاد الإسلامية زما أحدثه من ارتجاجات ضخمة هزت كيان الأمة من1 الاحتكاك المباشر بين الأمة والحملات الاستعمارية الغربية وأثرها السلبي العميق في مسيرة الأمة

ودعا لرصد التيارات الفكرية الكبرى المؤثرة في الفكر الإسلامي كالعلمانية والقومية واجتهد في ابراز الاختلافات بين الأمة الإسلامية وامم الغرب وأسباب نشوء و مآلات هذه التيارات

وكان من خصائص ومميزات فكره الاعتدال والوسطية -الوعي والعمق والرشد في الطرح—التحليل والشمولية

حيث كانت معركته مع خصوم الإسلام تشمل كل جوانبه لسانا وعقيدة وشريعة ومنهج حياة ونظام اخلاق واقتصاد واجتماع

وتميزت أبحاثه بقدرة نقدية فائقة في تناول هذه القضايا بموضوعية من حيث التحليل و البيان والنقد المستند الى الحجج العلمية والمنطقية

الفصل الثالث
جهوده في الدعوة

سخر محمد المبارك حياته كلها في خدمة الدعوة فقد قضاها في خدمة الإسلام وكان يدعو بسلوكه وأحلامه ويبين الإسلام في كتبه ومحاضراته ومقالاته في حله وترحاله فكان شخصية دعوية في المقام الأول

ويستند محمد المبارك في تكوين نطرته الى الدعوة انطلاقا من ايمانه بالإسلام كرسالة يلتزم بها في نفسه وبيته وأسرته القريبة والبعيدة وحياته الفكرية والعملية فكانت الدعوة الإسلامية بالنسبة له تمثل مهمة ورسالة خاصة تتمثل في انقاذ الامة مما آلت اليه وإنقاذ الإنسانية كلها نت المآزق التي أوجدت نفسها فيها وتمثلت أسس الدعوة عنده:

بتوضيح الفهم الصحيح للإسلام والعناية بفهم الواقع والعناية بفهم القواسم المشتركة بين مكونات الأمة

كما لم ير نجاح الدعوة فورة او وثبة كوثبة نار القش بل كان يدرك أن المطلوب هو تحويل العواطف الى عزائم وهمة وطموح ومثابرة للتغلب على الانكسارات النفسية التي يصدمنا بها الواقع فاجتهد في المجال التعليمي التربوي لمعرفة الذات ووعي الهوية ووصف الواقع توصيفا دقيقا لأن ذلك شرط في قيام النهضة ونجاح العمل الدعوي فاختار التدريس واعتبر ان تحقيق أهداف الدعوة يتحقق بثلاثة أهداف هي: 1- تحقيق المعرفة الكاملة بالإسلام المبنية على القران والسنة الشريفة

2- تقوية الشعور بالانتماء الى الأمة الإسلامية او الجماعة المسلمة أو المجتمع المسلم

3- معرفة العلوم التي تقوم بها دنيا المسلمين

المجال السياسي: عايش محمد المبارك نشأة حركة الاخوان المسلمين في شكلها التنظيمي في مصر وامتدادها الى الشام على يد الدكتور مصطفى السباعي وغيره وكان يرى أن العمل الدعوي منسجم ومتناغم مع منهج الاخوان لاسيما في التدرج والمرحلية فدخل المعترك السياسي لما فرضه عليه الواقع من وجود مناخ الحرية وإقرار الأحزاب الغربية الفكرة والتصور والبعيدة عن الإسلام في تلك الفترة

وكان يرى أن ترك الساحة فارغة قد يدفع بالضرورة الخصوم الى ملئها

واعتبر ان العمل السياسي منبر يدافع من أعلاه عن الإسلام كشريعة وعبادة ونظم وقيم وحضارة ويظهر ذلك في وضع دستور 1951م حيث شبت سجالات كبيرة بين النواب حول أسس الدستور ومكانة التشريع الإسلامي فيه فكان لوجود المناصرين للفكرة الإسلامية من الاخوان المسلمين وعلى رأسهم الدكتور السباعي الأثر البالغ في إقرار نصوص الدستور على أسس الشريعة الإسلامية

اما عن تواصله الجماهيري فقد طرق جميع أبواب الدعوة واستعمل الوسيلة الإعلامية والتبليغ المباشر لتبليغ الإسلام الى أكبر مساحة من الناس بشكلين تقليدي وتقني

تحديات الدعوة عند محمد المبارك:

تواجه الدعوة الإسلامية مشاكل كبيرة ومعقدة ومتنوعة وتاريخية ومنهجية فكرية وواقعية مرتبطة بالسياسة والثقافة والاجتماع والاقتصاد

وعليه فهي تواجه تحديات ذات أبعاد شتى زاد من حدها المحيط العالمي من خلال عالمية اقتصاده القائم على الاستغلال والظلم من خلال وسائل اعلامه المهيمنة والصانعة للرأي العام والذي يميل بكل معطياته لتحقيق مصالح العالم الغربي المتفوق المتنفذ وبين التحديات:

1-تحديات داخلية مرتبطة بواقع الامة على جميع المستويات في الحياة بدءاً من المفاهيم المشوهة الموروثة عن الإسلام كمفهوم عبادة وصولا الى الارباك الذي لحق بعقول كثير من أبناء الأمة تجاه افرازات الحضارة – الغربية التي سيطرت على واقع الامة الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وصولا الى أخطرها وهو تشويه هوية الأجيال

2-تحديات مرتبطة بالواقع الدعوي: وهي تحديات خارجية تتعلق بمكر الأعداء وكيدهم وداخلية تتمثل بأمراض التعصب والهوى والجهل والتي تشكل الخطر الحقيقي على الدعوة

فقد شخص المبارك اختلافات الامة التي جعلت الامة تعيش على العصبيات الفقهية والكلامية والتصوفية ما أرهق عقل الامة الجمعي واعاقه عن قيامه بدوره الدعوي الرشيد

ويرى أن العصبيات أثرت سلبا على واقع المسلمين واختصرت الدعوة الى الله تعالى بالدعوة لمذهب متعصب له الداعي

3-تحديات مرتبطة بالتأثير الخارجي: لما للقوى الاستكبارية على العالم الإسلامي من قوى تسلط وزاد من هذا التسلط التطور التقني الذي قرّب المسافات والأزمنة معاً وجعلت الهيمنة الخارجية تظلل مختلف أصقاع العالم

وأخيراً: هنا رست سفينة البحث في ترجمة المفكر محمد المبارك وصاحبنا شيخنا وترحلنا مع حياته وجهوده الفكرية والدعوية حينا وليكون ذلك تبياناً لشخصية محمد المبارك واسهاماته في الفكر والدعوة

أعد التلخيص

أمية الحاج عساف